التجربة الفنلندية في التعليم – سرّ الجودة والريادة من صرامة انتقاء المعلم وكفاءته

The Finnish experience in education – the secret of quality and leadership in the tigor of teacher selection and competence

د. ياسين فرفوري

المدرسة العليا للأساتذة – بشار (الجزائر)،

yassine.farfouri@ens.univ-bechar.dz

تاريخ الاستلام: 2022/04/13 تاريخ القبول: 2022/06/07 تاريخ النشر: 2022/12/31

ملخص:

يحظى المعلّمون في فنلندا بمكانة مرموقة، فهم لا يتقلدون هذه المناصب إلا إذا كانوا على درجة عالية جدا من التأهيل والكفاءة، ونظام قبول المعلمين لا يعتمد فقط على القدرات المعرفية والشهادات العليا بل يتعلق الأمر بفكرة المرشح نحو هذه المهنة الجليلة ومعرفته بشؤون الطفل، وعليه أن يكافح من أجل أن يصبح معلما، فهو أمام معايير انتقاء صارمة وتدريب مكثف وفعال، كما يعزى ارتفاع مستوى الأداء في مجال التدريس إلى الإجلال والمكانة التي تحظى بها هذه المهنة. وإنّ رؤيا نظام التعليم في فنلندا وسياسته تقوم على مبدأ المساواة وتكافئ الفرص بين جميع المتعلّمين، وحقّ التعليم المجانيّ للجميع وفي كلّ المراحل، وليست المساءلة على أساس الاختبار ومعايير التعلم المحددة من الخارج جزءا من سياسة فنلندا خاصة في العقد الأول من مرحلة الطفل التعليمية، وهدف التعليم هو إعداد المتعلّم للحياة بإكسابه المهارات والمعارف والقيم التي تمكنّه من المساهمة في تقدّم وطنه ورفاهيته واقتصاده، وليحقق نوعية حياة جيدة مرضية له ولأسرته وأبناء وطنه. وهذا ما تحقق فعلا في هذا البلد الإسكندنافي الذي لم يكن اقتصاده مرتكزا على الثروات، إنما بتجارة

الخشب والسفن والورق، لكن اهتمامه بالتعليم واستثماره في الإنسان جعله من أكثر الأوطان استقرارا في العالم.

الكلمات المفاتيح: التعليم، فنلندا، المعلم، الانتقاء، التكوين.

Abstract :

Teachers in Finland enjoy a prestigious position, they do not occupy these positions unless they are very qualified and efficient, and the system for accepting teachers does not depend only on cognitive abilities and higher certificates, but it is related to the candidate's idea towards this great profession and his knowledge of children's affairs, and he has to struggle In order to become a teacher, he is faced with strict selection criteria, intensive and effective training, and the high level of performance in the field of teaching is due to the esteem and prestige that this profession enjoys. The vision and policy of the education system in Finland is based on the principle of equality and equal opportunities for all learners, the right to free education for all and at all stages, and accountability on the basis of testing and learning standards set from abroad is not part of Finland's policy, especially in the first decade of a child's educational stage, and the goal of education It is preparing the learner for life by providing him with the skills, knowledge and values that enable him to contribute to the progress of his country, its welfare and its economy, and to achieve a good quality of life that is satisfactory to him, his family and his countrymen. This is what was actually achieved in this Scandinavian country, whose economy was not based on wealth, but on the trade of wood, ships and paper, but its interest in education

and its investment in people made it one of the most stable countries in the world.

Key words: *Education, Finland, teacher, selection, training*

مقدمة :

إنّ التعليم هو السبيل الوحيد لتطور الأمم ورقيها، وهو أمل الأمم المستضعفة في العودة إلى المسار الصحيح، ومواكبة التطور، وكلما زاد اهتمام المجتمع بالتعليم، زادت درجة نموه وتقدمه، وعندما سألت وزيرة التعليم الفنلندية تولا هاتانين في لقاء صحفي ذات يوم، عن كيفية إحداث نهضة شاملة ببلادها ووضعها في أعلى الهرم والعالمية، قالت:"إنها مسألة بقاء، وليس لها من سبيل غير الاستثمار في التعليم والتدريب"، وفعلا هاهي اليوم فنلندا تحتل الصدارة في التعليم الأساسي، و"شهدت فنلندا على مدار العقد المنصرم تطورات هائلة في مجال التربية والتعليم، ولاسيما في القراءة والرياضيات والعلوم، إذ تعد بلدا نموذجيا في نظامها التعليمي، فقد اعتلى الطلبة الفنلنديون مراتب متقدمة في 15 عاما المتوالية في الدراسات والاختبارات" (الدخيل، 2015، صفحة 19)، وإنّ التعليم هو عملية يقوم بها المعلم، بغرض تحقيق تغييرات مستحبة، على المستوى الذهني أو النفسي الحركي أو الاجتماعي للمتعلم، وذلك خلال ما يوفّره من إمكانات ومثيرات، لتحقيق تلك الاستجابات عند المتعلم، وعادة ما تقترن بالمدرسة، ولقد تغير التعليم اليوم، ولم يعد مقتصرا على الطابع التقليدي، فالنقطة والامتحان هي آخر ما يلتفت إليه في الأمم المتقدمة، وإنما يتم تقييم المتعلم بناء على ما اكتسبه من معارف ومهارات وقيم، ويحظى المعلّمون في فنلندا بمكانة مرموقة قد توازي مكانة الأطباء والمحامين، وربّما تزيد أحيانا، فالمعلم لا يصبح مؤهلا لمنصبه سواء في مدارس المرحلة الابتدائية أو الإعدادية أو الثانوية إلا إذا كان متحصلا على درجة الماجستير أو شهادات عليا في طرائق التدريس، بل ودرجة عليا من التأهيل، ونظام قبول المعلمين لا يعتمد فقط على القدرات المعرفية بل يتعلق الأمر بفكرة المرشح نحو هذه

المهنة الجليلة ومعرفته بشؤون الطفل، وعليه أن يكافح من أجل أن يصبح معلما، إذاً نحن أمام معايير انتقاء صارمة وتدريب مكثف وفعال، وهدف التعليم هو إعداد المتعلّم للحياة ووضعه بين أيد مصونة وأمينة، بإكسابه المهارات والمعارف والقيم التي تمكّنه من تحقيق حياة مستقرة ومرضية له ولأسرته من جهة، وتقدم وطنه ورفاهيته من جهة أخرى.

إشكالية الدراسة:

تروم دراستنا هذه للحديث عن التجربة الفنلندية في تكوين المعلمين وأثرها الكبير على الريادة والجودة التي حققتها عالميا في مجال التعليم، وسنحاول في البداية أن نتحدث بإيجاز عن الوضع العام للتعليم في فنلندا وعن سياسة الدولة التعليمية وعن المدرسة كفضاء للتعليم والحياة، ثم نتطرق إلى موضوعنا، ألا وهو تكوين المعلمين، **فما سر نجاح فنلندا وريادتها العالمية في مجال التعليم ؟ وكيف يتم انتقاء المعلمين ؟ وما هي مميزات المشتغل بالتعليم في فنلندا ؟ وكيف يتم انتقاؤه وإعداده وتكوينه ؟**

أهمية الدراسة:

حاجة القائمين على التعليم والباحثين للتعرف على العوامل التي أدت إلى تطور نظم التعليم في فنلندا، ومحاولة إجراء مقارنة بينها وبين دول أخرى ومنها الدول النامية. ومعرفة سبل النهوض بالتعليم ومعرفة أهم المشاكل التي تعيق تقدمه، ثم إحداث نظام تعليمي متطور ومتكامل يواكب المعايير العالمية، من خلال التعرف على الأسباب التي ساعدت فنلندا على التحول من نظام تعليمي متوسط المستوى إلى نظام متطور ونموذجي.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى محاولة وصف وتحليل نظام التعليم في فنلندا، ومحاولة الاستفادة من هذه التجربة الرائدة والفريدة في التعليم، هذا الذي تنهض به الأمم ما إن أولته الاهتمام المطلوب والأولوية، وتصير في ذيل الأمم وأسفلها إن هي لم تعره الاهتمام. سنحاول الوقوف

على السر والخلطة السحرية – إن صح المجاز– والتي مكنت فنلندا من تطوير نظامها التعليمي وصنع الجودة، حتى صارت مثالا ونموذجا يحتذى به بين سائر الأمم.

حدود الدراسة:

تقتصر هذه الدراسة على نظام التعليم في فنلندا، وبالضبط حول موضوع تكوين المعلم ومساره، وأثر ذلك على تطور التعليم، وأجريت في عام 1443هـ/2022م.

1. المدرسة كفضاء للحياة:

أضحت فنلندا تحتل الصدارة والريادة في مجال التعليم حسب نظام التقييم الدولي، خاصة في طور التعليم الأساسي، وتحقيق نتائج باهرة تجعل المتتبع للشأن التربوي يقف مذهولا أمام إنجازات هذه التجربة الفريدة والتي تعدّ نموذجا في تبني نظام الجودة في التعليم، لدرجة أن الكثير من دول العالم، والمتقدم منه تحاول أن تنقل التجربة الفنلندية إلى بلدانها، كما نحاول اليوم في هذه الورقة أن نكتشف السر وراء نجاحها، إلى درجة أن مديرة إحدى المدارس في العاصمة هلسنكي صرحت ذات مرة قائلة: "مازلت أعيش تحت وقع المفاجأة، لم أدرك يوما أن عملنا كان ممتازا إلى هذا الحد"، وعلى الرغم من ذلك ثمة غياب واضح للتعالي أو التفاخر في أوساط الفنلنديين المشهورين بتحفظهم" (الدخيل، 2015، صفحة 23)، والمدرسة في فنلندا فضاء للحياة، وكذلك وسط للعلاقات الإنسانية النبيلة التي تؤثر في بناء شخصية المتعلم لتكسبه قيم الاحترام والتسامح والتعاون والتكافل. والحصة الدراسية للمتعلمين عبارة عن عالم مفتوح وفسيح، إلى درجة أن الطفل المتعلم يتقن أربع لغات وهو دون الخامسة عشر، وفي فنلندا لا يتمّ ربط المتعلم بمنهج تكديسي عقيم، وإنما يتمّ التركيز على حرية التفكير والإبداعي منه والناقد، إيمانا منهم بما توصلت إليه الدراسات الحديثة، وأن الطفل كوعاء أو أن "العلم في الصغر كالنقش على الحجر" كما في موروثنا العربي. "وإنّ شرح نجاح أو فشل أي نظام اجتماعي صعب جدا، فما يتعلمه الطلبة في المدارس هو في

الواقع نتيجة معقدة من العوامل، ومعظمها خارج رقابة المدرسة أو المعلمين، وفنلندا ليست استثناء من هذه القاعدة، فثقافة البلد والرفاه والخصائص العرقية للناس تؤدي دورا أيضا في كيفية عمل نظام تعليم" (سالبيرج، 2016، صفحة 26)، ومن بين المميزات التي نقف عندها أن المدرسة في فنلندا بنية تحتية مساعدة ومحفزة، يشعر فيها المتعلم أنه مرحب به، فضاء واسع حيث تناهز مساحة القسم الدراسي فيه 65 مترا مربعا، كما تشتمل المدرسة على أماكن متعددة ومختلفة للاستراحة ومرافق أخرى كالمكتبات والخزانات والملاعب الرياضية وقاعات الأنشطة والمسارح، تتميز كلها بمستوى عال من النظافة ومهيأة بشكل جيد لاحتضان أنشطة المتعلمين. بالإضافة إلى وسائل مادية رهن الإشارة؛ فتجد مثلا في القسم العادي، مسلاطا وحاسوبا وتلفازا وأقراصا مدمجة إضافة إلى كتب ومراجع عديدة متوفرة بما يكفي لمشاركة كل متعلم في عملية بناء التعلمات. ويحصل المتعلم في فنلندا على وجبات صحية مجانية كل يوم وطيلة سنوات الدراسة بموجب القانون.

ومن بين مميزات التعليم أيضا أن النظام التربوي الفنلندي يقدم الأولوية للمتعلم فيحترم إيقاع تعلمه خصوصا في المستويات الدنيا، حيث يتم التركيز على تطوير المهارات عبر أنشطة يدوية أو فنية أو رياضية يعتمد فيها بشكل أساسي على **بيداغوجيا اللعب**؛ نظرا لميل المتعلم في هذه المرحلة إلى اللعب والتسلية حتى أثناء تعلمه. كما يتمّ الإنصات الدائم لحاجات المتعلمين والرصد المبكر لتعثراتهم الدراسية قصد المساعدة على تجاوزها في حينها.

أقسم مخففة، وهذا ما نعاني منه في عالمنا العربي والجزائر خصوصا، حيث يبلغ عدد التلاميذ في القسم الفنلندي 25 تلميذا على الأكثر. وفي رياض الأطفال لا يتعدى عددهم في كل قسم 12 طفلا تسهر عليهم ثلاث مربيات ومساعدة واحدة.

تعتمد المدرسة الفنلندية الطرق الحديثة في التدريس، ومنطق التعلم في فنلندا يقوم بالأساس على مبدأ مساعدة المتعلم على التعلم ويقتصر دور المدرس على التنظيم والمساعدة بعيدا عن الإلقاء والحشو. فالمتعلم يتمتع باستقلالية واسعة تمكنه من اختيار الوحدات الدراسية التي يرغب بها وبناء المنهاج الدراسي الخاص به والمساهمة في عملية التخطيط، وأمر الدروس الخصوصية غير وارد ضمن حسابات التعليم لديهم.

"يتم التعاون بين المدرسة وأولياء أمر المتعلم أمرا مهما جدا، لأن تربية الأطفال تحت مسؤولية والديهم، ويكون تعليمهم وتربيتهم خلال اليوم الدراسي تحت مسؤولية المدرسة، ولن ينجح العمل المدرسي بدون التعاون فيما بين البيت والمدرسة ... ويحدث التعاون بينهما بأشكال مختلفة. فيتم تنظيم الأمسيات والأيام المفتوحة وحفلات مشتركة ورحلات، ويرحب بالعائلات للمشاركة فيها، ويتواصل المعلمون مع الوالدين فيما يتعلق بالأمور الخاصة بأبنائهم من خلال الرسائل أو البريد الإلكتروني أو الهاتف" (Helsingin، صفحة 39).

على عكس العديد من أنظمة التعليم في العالم، فإنّ نظام وسياسات التعليم في فنلندا تختلف عن إستراتيجيات الإصلاح الموجهة لما هو تقليدي ومتداول، ليست المساءلة على أساس الاختبار ومعايير التعلم المحددة من الخارج جزءا من سياساتها (سالبيرج، 2016، صفحة 03) فنظام تقويمها مرن ومحفز، لا يعتمد على النقطة العددية الجزائية لتمييز المتعلمين – خصوصا الفئات العمرية الصغيرة – واتخاذ قرار بالنجاح أو الرسوب. فالقانون يمنع التكرار إلا في حالات استثنائية بعد موافقة المعني بالأمر وأسرته. وهكذا تتاح الفرصة لكل متعلم أن يتحسن تبعا لإمكاناته الذاتية وإيقاعه الخاص. وحتى عندما يشرع في التنقيط بدءا من سن الثالثة عشر فإن التلميذ ينقط من 4 إلى 10، ويمنع منحه الصفر حتى لا يشعر بالإحباط والفشل. فالمهم هو تثمين المكتسبات عند المتعلم وتشجيعه على

التعلم الذاتي بدل إبراز نقائصه. وحسب الخبير والباحث والمعلم باسي سالبيرج، لا يعني هذا فشل نظام الاختبارات، ولكن يمكن إدارة المدارس بكفاءة وفعالية دون الحاجة إلى الاختبارات. حيث يقضي المعلمون أوقاتهم في عمل الأنشطة أثناء الفصل الدراسي والمتعلمون يقضون أوقاتهم في تعلم ما يفيد بدلا من تعلم كيفية الإجابة عن الأسئلة في الامتحانات. وذلك يدفع المتعلمين إلى إيجاد الإجابات المناسبة للمشكلات؛ حيث يسمح لهم بأن يتساءلوا: "ما هي المشكلة الحقيقية التي نحتاج إلى إيجاد حل لها؟" على عكس النظام الذي يعتمد على فكرة ـ هذا السؤال لن يأتي في الاختبار ـ ومن ثم لا يوفر الفرصة للمتعلمين لتعلم ما يفيد حقا. وقد قال:" إننا نعدّ التلاميذ لتعلم آلية التعلم، وليس للنجاح في الاختبارات، لسنا مهتمين كثيرا باختبارات بيزا، لكونها تقع خارج درجة أهدافنا". في حين أن بيداغوجية التقويم والدعم والتقوية في وظائفها الحالية عندنا في الجزائر والمغرب العربي، وشروط ممارستها داخل المدرسة الأساسية الجزائرية من طرف المنفذين الأوائل (المعلمين)، غير قادرين على إعطاء، ضمانات موضوعية ونتائج عملية، سواء على مستوى المهارات السلوكية والمعرفية، أو على مستوى الدفع بالتحصيل الدراسي لدى الأطفال المتعثرين والمهمشين ثقافيا، وهكذا فهما لا يخرجان عن نطاق المسحقة الإيديولوجية في بعدها الخداعي، والتي ترمي إلى إيهام الآباء والتلاميذ، من أن المدرسة مؤسسة عملية تراهن على خلق شكل من التربية التعويضية للأطفال الموهبين بالفطرة؛ أما في فنلندا والأمم المتقدمة، فلقد مات عهد الامتحان عندها –كما ادعى دولاندشير– وجاء التقويم كعملية بيداغوجية وتربوية ليحل محله في لباس جديد وأهداف جديدة.

وهكذا كان لزاما على الفكر التربوي الجزائري، لكي يصل إلى هذا المستوى، أن يصفي الحساب مع الظاهرة الاصطفائية للامتحان كمقياس تكميمي وذلك من خلال الأبحاث والدراسات العملية والنقدية التي أحاطت النظام التعليمي بشكل عام، والامتحان بشكل خاص، بحيث أكدت أغلب الأبحاث التربوية (لمباشري، 2002، صفحة 133)،

من أنّه– أي الامتحان– لا يعكس في عمقه الحقيقة الموضوعية –كمقياس– لفعالية المتعلمين وأداءاتهم الفكرية والمهارية، مادام هدفه محصورا في قياس الوحدات المعرفية، ذات الصبغة التذكرية، وترقيمها بطريقة اصطفائية وتصنيفية استجابة لتراتبية المجتمع ولمبدأ الاستحقاق، وطرح التقويم كبديل جاء استجابة لحاجة موضوعية، لدى بعض المنظرين البيداغوجيين، بهدف القضاء على الفشل الدراسي، وسد الفراغ القياسي من أجل خلق تكافئ في نتاج التعلم لدى الأطفال المتمدرسين (لمباشري، 2002، صفحة 134).

تقتضي السياسة الفنلندية في التعليم، استقلالية المؤسسات التعليمية، وتدبير شؤونها ومنحها كافة الصلاحيات الإدارية والمالية، ويعهد إليها تكييف المناهج التعليمية مع حاجيات متعلميها وخصوصيات منطقتهم. لكن في الوقت نفسها، يتم إخضاعها لنظام تقييم أدائها بشكل دوري ومستمر من خلال تعبئة استمارات عبر شبكة الإنترنت من طرف التلاميذ وأولياء أمورهم للتعبير عن مدى رضاهم عن جودة الخدمات التي يستفيدون منها في مؤسستهم.

وما من شك فيه أن الجميع أصبح واعيا بمحورية المتعلم في العملية التعليمية التعلمية ومكانته في المنظومة التربوية، لكن الوعي بهذا المعطى لحد ذاته لا يكفي للنهوض بقطاع التربية والتكوين. ولقد اختار النظام التربوي في فنلندا أن يعطي الأولوية المطلقة للمتعلم في كل مجالات الإصلاح، انطلاقا من مبادئ احترام الفرد وصيانة حقوقه خصوصا حقه في تعليم ذو جودة مبني على أساس تكافئ الفرص. ولعل شعار "أن كل تلميذ يعدّ مهما"، خير دليل على الأهمية القصوى التي منحت لكل فرد من أفراد المجتمع في هذا البلد الذي يعدّ الإنسان مصدر ثروته الأولى.

3. الانتقاء الصارم لمهنة التعليم:

يحظى المعلّمون في فنلندا بمكانة مرموقة، فهم لا يتقلدون هذه المناصب إلا إذا كانوا على درجة عالية جدا من التأهيل والكفاءة، ونظام قبول المعلمين لا يعتمد فقط على القدرات المعرفية والشهادات العليا بل يتعلق الأمر بفكرة المرشح نحو هذه المهنة الجليلة ومعرفته بشؤون الطفل، وعليه أن يكافح من أجل أن يصبح معلما، ليس من السهل أن تصير كذلك، "إذ إن خريجي الجامعات حديثي العهد لا يرسلون لتشكيل عقول الأطفال مباشرة بعد التخرج" (عبد الرحمن و عليوي، 2008، صفحة 155)، فهو أمام معايير انتقاء صارمة وتدريب مكثف وفعال، كما يعزى ارتفاع مستوى الأداء في مجال التدريس إلى الإجلال والمكانة التي تحظى بها هذه المهنة. فـ"مهنة التدريس في المجتمع الفنلندي تتمتع دائما باحترام الجمهور وتقديرهم، ويمتلك الآباء ثقة اتجاه المعلمين كمهنيين يعرفون ما هو الأفضل لأبنائهم، وهذا ما أدى إلى امتلاك المعلمين الاستقلالية في الفصول الدراسية فيما يتعلق باختيار الأساليب التربوية الأكثر ملاءمة" (سالبيرج، 2016، صفحة 28)، ونسبة 47 إلى 49 % من المعلمين الذين يتم اختيارهم في الولايات المتحدة الأمريكية، هم من الثلث الأخير من طلبة الجامعات، وهي واحدة من الإشكاليات التي نعاني منها في الجزائر والدول النامية، أما فنلندا فكل المعلمين ونسبة 100 %منهم يتم اختيارهم من 10 % من الأوائل في الجامعات، فولوج كليات التربية يمر عبر انتقاء صارم جدا، حيث يبلغ عدد طلبات التسجيل المقبولة نسبة السدس، في بعض التخصصات إلى 1 من 15. ومن بين شروط الولوج الذي يؤهل صاحبه لأن يكون مدرسا للتعليم الابتدائي class teacher ما يلي:

- النجاح في مباراة التسجيل الكلية؛
- تجربة سنة من ممارسة مهمة مساعد مربي في مدرسة ابتدائية أو روض الأطفال؛

- بعد الانتقاء الأولي، يخضع المترشح لعدة اختبارات ومقابلات فردية وجماعية من أجل التأكد من اهتمامه الحقيقي بعالم الطفل، وقدرته وتحفظه لمزاولة مهنة التدريس استقبالا (روبر، 2017، صفحة 102).

أما أستاذ التعليم الثانوي subject teacher والذي يكون متخصصا في مادة معينة، فيتابع تكوينه الجامعي لسنتين في تخصص معرفي، ثم يتقدم بعد ذلك بملف ترشحه لكلية التربية، وبعد عملية انتقاء شبيهة بما تقدم ذكره بالنسبة لأساتذة الابتدائي، وبعد قبولهم يتابعون مسارا تكوينيا مزدوجا يجمع بين تخصصهم الأصلي، والتكوين البيداغوجي في كلية علوم التربية إلى حين حصولهم على شهادة الماستر.

وتعدّ مهنة التعليم في فنلندا من أرقى المهن وأعلاها شأنا لما توليه الدولة والمجتمع لها من أهمية، فلا غرابة من تشديد إجراءات انتقاء المدرسين والإلحاح على ضرورة التوفر على مجموعة من الشروط والمواصفات، في مقدمتها الإلمام بعوالم الطفل النفسية وحب المهنة .

4. تكوين وتدريب أساسي رفيع:

بعد عملية الانتقاء يستفيد المترشحون لمهنة التدريس من تكوين أساسي يجمع بين ما هو نظري وما هو عملي تطبيقي من خلال إنجاز تداريب في مدارس تطبيقية خاصة. وبالإضافة للتكوين الأساس، يشارك المدرسون في دورات تأهيلية منتظمة للتكوين المستمر قصد تجديد مؤهلاتهم وتطوير قدراتهم المهنية.

و"منذ 1971 صار من الضروري أن يكون أستاذ المدرسة الفنلندية حاصلا على شهادة الماستر. وقد أثبتت دراسة ميدانية أن الأستاذ يحظ تقدير وثقة واحترام من قبل

شرائح المجتمع الفنلندي؛ إذ يعدّ التعليم العامل الرئيس في الترقي الاجتماعي، لذلك ينظر إلى الأستاذ على أنّه ذلك الخبير المؤهل في أداء عمله.

وفي استطلاع لآراء تلاميذ السنة النهائية من التعليم الثانوي لسنة 2004، تبيّن أنهم أكثر انجذابا لمهنة الأستاذ منه إلى الطبيب أو المحامي، وهذه النتيجة تفسر الإقبال الكبير على كليات التربية.

يشترط في جميع أساتذة المدرسة الفلندية – سواء الابتدائية أو الثانوية- حصولهم على شهادة الماستر؛ كما أن توحيد تكوينهم يعد من أهم عناصر إصلاح المدرسة، حيث إن تحقيق الانسجام والاتساق بين أساتذة المرحلة الأساسية (من السنة الأولى إلى السنة التاسعة: أي المرحلة الابتدائية والإعدادية، وهي مرحلة التعليم الإلزامي) يقتضي أن تكون لديهم ثقافة مشتركة في جميع مستويات التكوين والتأهيل. ومن أجل ضمان حضور قوي للجانب البيداغوجي في تكوين الأساتذة، فبالإضافة إلى التكوين النظري الذي يخضعون له في كليات علوم التربية خلال سنوات الماستر، هناك حضور قوي للجانب التطبيقي (روبر، 2017، صفحة 103)؛ فبالقرب من كل كلية للتربية هناك مدرسة تطبيقية تتوفر على أحسن التجهيزات، ويعمل بها أساتذة ذوو خبرة عالية تمكنهم من حسن توجيه الطلبة في تجاربهم الأولى في الممارسة التدريسية.

إن التكوين التطبيقي العملي للأساتذة خلال فترة دراستهم وتكوينهم هو تكوين متدرج، ينتقل من الملاحظة إلى تحمل مسؤولية قيادة الفصل الدراسي تحت إشراف الأستاذ الموجه بالمدرسة التطبيقية. كما أن فترات التكوين النظري منسجمة مع متطلبات التطبيق العملي ومع أهدافه.

يحصل الطلبة في مسلك تكوين أساتذة الابتدائي على معارف نظرية ترتبط بالمواد الدراسية التي يدرسها التلاميذ بالمدرسة الابتدائية، مع التركيز على اللغة الأم، واللغة الوطنية الثانية، ثم الإنجليزية.

يتوج هذا البحث بإنجاز بحث نهاية التكوين في هذا الماستر المهني، والذي يؤهل الحاصل عليه على مواصلة دراسته في سلك الدكتوراه.

إن هذا الاختيار في مسار التكوين وشكله يهدف إلى تكوين أساتذة يجمعون بين الممارسة المهنية والبحث من أجل مواكبة التيارات البيداغوجية الحديثة.

أما أساتذة الثانوي فيتلقون ثلث التكوين في كليات التربية في مجال تخصصهم، كما أنهم ملزمون بسنة على الأقل من التكوين في المجال البيداغوجي. ويحتل التطبيق العملي أيضا مكانة مهمة. وهم مطالبون علاوة على ذلك بإنجاز بحث نهاية التكوين بسلك الماستر، وتكون بحوثهم غالبا في المجال الديداكتيكي الذي يبحث في تعليمية المواد التي سيدرسونها في المستقبل.

يشرف على تدريس تلاميذ المدرسة الفلندية أساتذة أكفاء لهم من التكوين العلمي التخصصي بقدر ما لديهم من التكوين البيداغوجي الرفيع. هذا التكوين الذي يحصلونه يجعلهم قادرين على مواصلة تكوينهم الذاتي، ومؤهلين لأداء مهني يستند على تكوين متين يواجهون به مختلف الوضعيات والمشاكل بمستوى عا من الفاعلية والنجاعة.

إذأ، كما ذكرنا فإن نسبة 100 % من المعلمين يمتلكون ماجستير أو شهادات في أساليب وإستراتيجيات التدريس الحديثة، وليس كل من هب ودب يوظف في التربية والتعليم، فهذا جيل نصنعه ليقود أمة وليقود وطنا، إما أن تضعه في أيد أمينة، إما أن ترمي به إلى الشارع كما ذكر الباحث الأردني حمزة خوالدة.

5. مسار التوظيف والأداء:

بعد الحصول على شهادة كلية التربية، يبحث الأساتذة المتخرجون عن منصب عمل، حيث تتولى البلديات توفير مناصب لتوظيف الأساتذة وبناء المؤسسات التعليمية.

كل بلدية تضم مكتبا خاصا للتربية والتعليم، يتشكل من منتخبين، ويضم عدة أقسام، هذا والمكتب هو الذي يحدد نوع المناصب المحدثة بتشاور مع رؤساء المؤسسات التعليمية التابعة لتراب البلدية.

تقع المنافسة بين عدة مرشحين للحصول على منصب واحد، ويتم الانتقاء من خلال مقابلة، يتم على أساسها توظيف الأساتذة كموظفين بلديين، وتؤطر وضعيتهم الوظيفية اتفاقية جماعية وطنية.

ويعدّ الأستاذ قارا في عمله، وغير مهدد بفقدان مهنته إلا في حالة الخطأ الجسيم أو الإهمال الكبير في أداء مهامه (روبر، 2017، صفحة 104).

يمكن القول أن المعلم في فنلندا يختلف عن المعلم عندنا، فحاول أن تنسى صورة المعلم التقليدي الذي يلبس ربطة العنق والنظارة وبيده العصا (فرفوري، 2021، صفحة 70).

إن المعلمين الفنلنديين واعون ويعملون على الاستفادة من خدمات التطوير والتدريب أثناء الخدمة المهنية.. وأصبح التحسين المستمر للاحتراف التربوي للمعلمين حقا وليس إلزاما (سالبيرج، 2016، صفحة 29). والمعلم في فنلندا باحث في مجاله إذ حرصوا هناك على أن يكون المعلم هو الذي يجيد البحث العلمي، والقادر على تطوير معارفه باستمرار، وتطبيق النظريات العلمية في طريقة تدريسه في الصف، واسع المعرفة، متابعًا للتطورات الاجتماعية، منفتحًا على الثقافات الأخرى، مدركًا لتفاصيل الحياة السياسية.

يتميز أداء المعلمين في فنلندا بجودة استثنائية؛ نظرا لما يتمتعون به من ثقة يستحقونها، وقد استطاع المعلمون كسب ثقة الآباء والمجتمع كله عبر إثبات قدرتهم على

حسن التصرف وإصدار الأحكام بطريقة مهنية تمكنهم من إدارة صفوفهم، وتستجيب لتحدي مساعدة الأطفال كلهم ليصبحوا معلمين ناجحين (الدخيل، 2015، صفحة 37).

ويرتكز التعليم بـ فنلندا في عصر العولمة على المعلم الذي يجب أن يكون مرنا ومسؤولا في اتخاذ القرارات ومقداما على الأخطار المدروسة، مبدعا، وقادرا على حل المشكلات بالطرق العصرية، ويسلك سبل التعلم التعاوني واستخدام شبكات التواصل الاجتماعي وتكنولوجيا الاتصالات في التعليم، بدل المهارات التقليدية والتعليم الروتيني. لذا يحظون بتطوير إلزامي، حيث تتوالى المقاطعات تمويل المدارس الفنلندية لأجل عمليات التطوير المهني (الدخيل، 2015، صفحة 43).

نتائج الدراسة: توصلت الدراسة لمجموعة من النتائج، أهمها:

- تبنى الأمم بالتعليم، وبما توليه له من أولوية واهتمام، وتتأخر إن هي أهملته، ف فنلندا لا تملك ثروات ونفط وغاز أو ذهب، لكنها تستثمر في الإنسان لهذا صارت من أكثر بلدان العالم استقرارا ورقيا.
- يتسم نظام التعليم في فنلندا بمرونة كبيرة، من حيث إن المدرسة فضاء للتعلم والحياة، ومن خلال اعتماد مبدأ اللامركزية في إعطاء المدارس إمكانية إدارة شؤونها الداخلية والاستقلالية في اتخاذ القرار، في حدود القانون التشريعي لوزارة التعليم في فنلندا.
- أسهم نظام التعليم بفاعلية في تحقيق نمو اقتصادي قائم على المعرفة في فنلندا، من خلال تلبية حاجات السوق العمل للقوى البشرية المدربة ذات الأداء الأكاديمي المتميز.

- نسبة 100 % من المعلمين يتم اختيارهم من 10 % من الأوائل في الجامعات، وهو انتقاء صارم، فلا يوجه للتعليم إلا من يمتلك الكفاءة والأهلية لهذه المهنة الجليلة والمحترمة عند المجتمع الفنلندي.
- المعلم لا يصبح مؤهلا لمنصبه سواء في مدارس المرحلة الابتدائية أو الإعدادية أو الثانوية إلا إذا كان متحصلا على درجة الماجستير أو شهادات عليا في طرائق التدريس.
- نظام قبول المعلمين لا يعتمد فقط على القدرات المعرفية بل يتعلق الأمر بفكرة المرشح نحو هذه المهنة الجليلة ومعرفته بشؤون الطفل.
- لا يوظف المعلم مباشرة في فنلندا، بل يخضع إلى تدريب مكثف وفعال، وهدف التعليم عندهم هدف أسمى يتمثل في إعداد المتعلّم للحياة ولا يتأتى ذلك إلا بوضعه بين أيد مصونة وأمينة ومعلمين أكْفاء مؤهلين.
- لا يتم تقييم وتقويم المتعلم في فنلندا بنقاط أو معدلات، بل بما اكتسبه من قيم ومعارف ومهارات.

قائمة المصادر والمراجع:

1. باسي سالبيرج، نبذة قصيرة عن إصلاح التعليم في فنلندا، ترجمة وتحرير مركز البيان للدراسات والتخطيط، بغداد، 2016.

2. بول روبر، الأستاذ في المنظومة التعليمية في فلندا، تر: ربيع حمو، مجلة النداء التربوي.

3. عبد الرحمن حسين، ياسر عليوي، «أساليب التعليم المتبعة بفنلندا ونظرة جديدة لتعليم اللاجئين السوريين»، 2008.

4. عزام بن محمد الدخيل، تعلومهم، نظرة في تعليم الدول العشر الأوائل في مجال التعليم، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط4، 2015.

5. محمد لمباشري، الخطاب الديداكتيكي بالمدرسة الأساسية "بين التصور والممارسة"، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 2002.

6. ياسين فرفوري، "استخدام التكنولوجيا الحديثة في التعليم بين محاكاة واقع المتعلم وتعزيز دور التعلم بالممارسة"، التعليم وتكنولوجيا التعليمية في ظل جائحة كورونا فرص الاستمرارية، الأشكال، التطلعات، المعوقات، دار ابن العربي للثقافة والنشر، غزة– فلسطين، 2021.

7.La Filande : un modèle éducatif pour la France ? les secrets de la réussite, Paul Robert, ESF 7éditeur, 2éme édition, 2009.

8. مقتطف من كتاب : فلندا : نموذج تربوي لفرنسا– أسرار النجاح.